بل نقول لما لم يكن جعل القدرة الحقيقية المقارنة مناطا للتكليف جعلت
مظنتها وهي السابقة مناطا له وهي سلامة الاسباب والالات اقامة
للامر الظاهر مقام الامر الخفي ولا يلزم العقاب على الترك بدون القدرة
على مذهبنا فان المنقول عن ابي حنيفة ان القدرة الحقيقية وهي بمعنى مجرد القوة
تصلح للضدين خلافا للاشعري ومما كان هذا قول بعض المعتزلة كان من جملة ما ينبئ عن
الامام منهم فحاشاه ان ينسب اليهم والاشعري اراد بالقدرة القدرة المستجمعة
للشرايط وهذا حاصل ما قيل في تلفيق القولين واستحقاق العقاب
انما هو على تقدير ان الله تعالى خلق القدرة الحقيقية والعبد لم يوقع الفعل
او لم يقصده اصلا واما اذا قصد العبد لكن لم يصدر لعدم القدرة
الحقيقية فالمرجو ان لا يعاقب ثم الاستطاعة منها ما يتصور به الفعل
طايعا له بسهولة والوسع من الاستطاعة هو ما يسع له فعله بلا مشقة
والجهد منها هو ما يتعاطى به الفعل بمشقة والطاقة منها هي بلوغ غاية
المشقة ويقولون فلان لا يستطيع ان يرقى هذا الجبل وهذا الجمل يطيق
للسفر وهذا الفرس صبور على مماطلة الحفر واستطاعة الاحوال وهي القدرة
على الافعال تسمى بالتكليفية واستطاعة الاموال والافعال كلاهما تسمى
بالتوفيقية ونفي الاستطاعة قد يراد به نفي القدرة والامكان نحو فلا يستطيعون
توصية وما استطاعوا له نقبا وقد يراد به نفي الامتناع نحو هل يستطيع
ربك اي هل يفعل وقد يراد به الوقوع بمشقة وكلفة نحو انك لن تستطيع
معي صبرا وقد فسر رسول الله الاستطاعة في قوله تعالى من استطاع اليه
سبيلا بالزاد والراحلة ولم يفسر باستطاعة الحج فانه لا بد فيها من صحة
البدن ايضا الاستواء هو اذا لم يتعد بالى يكون بمعنى الاعتدال والاستقامة	الاستواء
واذا عدي بها صار بمعنى قصد الاستواء فيه وهذا مختص بالاجسام واستوت
على الجودي اي استقرت ولما بلغ اشده واستوى اي تم فاذا استويت
انت ومن معك على الفلك اي علوت وارتفعت واختلف في معنى الرحمن
على العرش استوى فقيل انه بمعنى استقر وهو يشعر بالتجسيم وقيل بمعنى
استولى وذلك يكون بعد قهر وغلبة اذ لا يقال استولى على الشيء
الا اذا كان له مضاد فاذا غلب احدهما قيل استولى وقيل بمعنى صعد
والله منزه عن ذلك ايضا وقال الاشعري وجماعة من اهل المعاني معناه
اقبل على خلق العرش وعمد الى خلقه وهذا معنى ثم استوى الى السماء
اي ثم توجه ارادته وتعلق بايجادها وقال ابن اللبان الاستواء المنسوب
الى الله تعالى بمعنى اعتدل اي قام بالعدل كقوله تعالى قائما بالقسط فقيامه

بالقسط

بالقسط والعدل هو استواؤه وقال مجاهد استوى على العرش اي استوى
وهذا الكلام على طريقة التمثيل والمعنى اجرى احكامه في الكائنات كما يفعله
الملوك حين جلوسهم على سرير الملك واعلم ان الله تعالى اخبر بانه على العرش
استوى واخبر رسوله بالنزول وغير ذلك فكل ما ورد من هذا القبيل
دلائل التوحيد فلا يتصرف فيها بتشبيه وتعطيل فلولا اخبار الله واخبار
رسوله ما تجاسر عقل ان يحوم حول ذلك الحمى وتلاشى دون ذلك عقل
العقلاء فالله سبحانه دنى من عباده بما اخبر ودل على نفسه بما اظهر
ورفع حجابا من الحجب عن وجه الكبرياء وكشف شيئا من سبحات العظمة
والعلا فكل اخبار الصفات تجليات الهية وكشوف جلية عقل من عقل
وجهل من جهل فلا تبعد عن الله بالتشبيه وقد قرب منك ولا تفر منه
بالتعطيل وقد دنى اليك اطلق لسانك بالاستواء واعرض عن الكيفية
وهكذا سائر الصفات فهو سبحانه بما تجلى لعباده بهذه الاخبار ظاهر
وربما قصرت العقول عن ادراك كنه صفاتها وكيفيتها باطن فلا ينكشف
اسلوب الحكيم	من عظيم شانه ما بطن ولا يستكشف من علو سلطانه ما اكمن اسلوب
الحكيم هو لغة كل كلام محكم واصطلاحا هو اما تلقي المخاطب بغير ما يترقب
بسبب حمل كلام المخاطب على خلاف ما اراده تنبيها على انه الاولى بالقصد
والارادة وهذا عين القول بالموجب لان حقيقته حمل لفظ وقع في كلام
الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه واما تلقي السائل بغير ما يتطلب
تنبيها على ان الاولى له والاهم انما هو السؤال عما اجيب عنه مثال الاول
نحو قول القبعثري للحجاج حين قال له متوعدا لاحملنك على الادهم مثل الامير
حمل على الادهم والاشهب فقال الحجاج انه الحديد فقال لان يكون حديدا خير
من ان يكون بليدا ومن قبيل تلقي المخاطب بغير ما يترقب قوله انت تشتكي عندي مزاولة القرى
وقد رات الضيفان ينحون منزلي فقلت كاني ما سمعت كلامها هم الضيف جدي في قراهم وعجلي
ومثال الثاني نحو قوله تعالى يسئلونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج وهذا
على استعمال السائل غير الصحابة اذ الاصحاب على ما نقل عن ابن عباس ما سئلوا
عن رسول الله الا اثنتا عشرة مسئلة كلها في القران والسائل عن الروح
وذي القرنين مشركو مكة واليهود كما في اسباب النزول وقد روي ما يقتضي انهم
لم يسئلوا عن سبب زيادة الهلال ونقصانها بل عن سبب خلقه على ما هو الاليق
بحالهم روى ابو جعفر الرازي عن الربيع عن ابي عالية قال بلغنا انهم قالوا
يا رسول الله لم خلقت الاهلة فانزل الله هذه الاية فعلى هذا ليس فيها
من اسلوب الحكيم شيء بل يصير الجواب طبق السؤال فصار محتملة للوجهين

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)